المناظرة والمراسلة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فضاءً ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنّ العهدة في ما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المنتطف ونراعي في الادراج وعدمه ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف الغلط غيره عظيماً كان المعترف بالغلط اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستحق على المطوّلة

الهيضة الوبائيّة ورسالة الدكتور حسن باشا محمود

حضرة منشئي المنتطف الفاضلين

ان للعلم على اهله حقوقاً وواجبات اولها واسماها نصرة الحق والدفاع عنه من كل من ينثم منه سرّاً او جهراً صريحاً او ضمناً بطريق العلم والقضايا العلمية. وإننا لقد توسمنا ما يوجب علينا الدفاع عن الحق والائتمار بامر العلم في الرسالة التي قرّظتموها في الجزء الثاني من منتطفكم الاغر في الهيضة الوبائية التي فشت في الديار المصرية سنة ١٨٨٣ تأليف صاحب السعادة الدكتور حسن باشا محمود. فان هذه الرسالة قد أدلت على محيّا الحق برقعاً يأبى المنصف السكوت عن كشفه في ما يتعلّق باصل الهيضة الوبائية. وكنا قد ظننّا ان ذكرها خلل من زمان حتى رأينا ان سعادة مؤلفها أبى الاّ اشهارها فتصدى بها نادي المنتطف الاغر يعرضها على نخبة ابناء المشرق دلالةً على انه باقٍ على رأيه فيها

هذا ولما كنا قد اشهرنا رأينا الشخصي حديثاً في المنتطف في هذه المسألة التي حلّت اهميتها المحل الاول بين اطباء هذا الزمان فواضح ان سعادة الدكتور حسن باشا محمود لم يقصد بتجديد ذكر رسالته الاّ مناقضة رأينا بما تضمنت من التوجيهات المناقضة ولذلك حقّ لنا ان ندحض ما فيها دفاعاً عن الحق وعن رأينا فان كان سعادة مؤلفها يرى بعد ذلك ثبوت ما فيها فيدان النزال واسع وليس مثل المناظرة لاظهار الحقائق

ان الرسالة التي نحن في صددها قد تضمنت ما يشبه ان يكون شكوى على مجلس الصحة بعلة ظهور الهيضة الوبائية في مصر سنة ١٨٨٣ وذلك بمحاولتها اقناع الجمهور ان حدوث هذا الداء لم

يكن من قصور ارباب الكرنتينا بدليل ان الدكتور شافعي بك والدكتور فراري (وهما من اعضاء مصلحة الكرنتينات) يميلان الى ان الداء فشا في دمياط متولداً من قذارتها وخبث مائها وفساد هوائها وانهما بحثا طويلاً دقيقاً عن اصلهِ فلم يجدا أدنى دليل على انهُ تطرّق الى دمياط من محلٍّ آخر خارجها . ولا يخفى ان سعادة الدكتور حسن باشا محمود كان حينئذٍ مديرًا للكرنتينات وان الدكتورين شافعي وفراري أُرسلا من قِبَل مصلحة الكرنتينات لاتمام غرضها ولكنهما عجزا عن الوصول الى حكمٍ قاطع باقرارهما فتقريرهما ليس حجةً .

ان المطّلعين على تاريخ الهواء الاصفر يعلمون ان رأي الجمهور كان الى حد سنة ١٨٨٤ ان الهواء الاصفر لا يتولد في مصر بالذات بل ياتيها من محل آخر خارج عنها ولكن جماعةً يرون ان الهواء الاصفر الذي فشا سنة ١٨٨٤ تولّد اصلاً في دمياط من مدن مصر ولم يأتِها من بلادٍ اجنبيةٍ خلافًا لرأي الجمهور . ومعلوم ان المدّعي دعوى مخالفة للرأي العام مكلّف بتقديم البينات لاثبات دعواهُ فان لم يأتِ بالبينات اللازمة بطلت دعواهُ وبقي المعوّل على الرأي العام . وعلى ذلك ينمّي قول القائلين ان الوباء تولّد من نفسهِ في دمياط سنة ١٨٨٤ فانهُ لم يقيموا الادلة القاطعة على صحة قولهم فسد قولهم . وامّا القائلون بان الوباء اتى دمياط من بلاد أخرى بناء على رأي الجمهور المعوّل عليهِ فلا يبطل قولهم هذا ان لم يستطيعوا تعيين الواسطة التي انتقل بها الداء الى دمياط بل لا تضعف حجتهم ان لم يستطيعوا ذلك . ولهذا فاقلُّ ما ينتظَر من الذين يقولون بتولّد الوباء من نفسهِ في دمياط تقديم دليل واحدٍ على ذلك ولكنهم لم يأتوا الاّ باقيسة موقسطائية فضلاً عن الاغلاط الكثيرة وحسبنا دليلاً على خلوّ قولهم من البرهان قول الدكتورين شافعي وفراري في تقريرهما المشهور "فنحن لا ندّعي الوصول الى نتيجة قاطعة لا تُرَدُّ او ازالة الشبهات من هذا الموضوع" وقولهما بعد ان اطالا الكلام على قذارة دمياط وسوء مطعمها ومشربها "ترى أنهُ يصحُّ ان يُستدلَّ بهذه الحقائق على ان نفس الاسباب الجوية والترابية والمائية التي توجد حين تولد الهيضة الوبائية على عدوة نهر الكنج وُجِدَت ايضًا على ذلك النيل . فنحن نقرُّ ان ما عرفناهُ لا يكفي للقطع في الحكم وانما نذكر ملاحظاتنا هنا املاً ان يستعين اهل العلم بها في المستقبل على بت حكمهم في هذه المسألة"

قالت الجريدة الطبية البريطانية "ألم يقولوا ان الكوليرا بقيت في مصر منذ فشت فيها سنة ١٨٦٥ ان لم يكن منذ سنة ١٨٤١ فمن يعتد بقولهم هذا في زماننا الاّ فئة صغيرة من فئات اهل السياسة ولكن ما للعلماء واهل السياسة وكيف يصحُّ ان يجعل اهل السياسة قضاةً في العلم" نقول نعم ان السياسة لا علاقة لها بالعلم الاّ ان مراكز اهل العلم ومعاشهم بيد اهل السياسة فيلتجئ العلماء

اليهم ويشترون بتابيع العلم بجمارانهم على علاّتهم . هذا ولسنا نقول ان سعادة الدكتور حسن باشا محمود تعمّد الضرر للبلاد بموافقته على قول القائلين بان الوبا تولّد في مصر نفسها ولكن كان الاجدر به ان يتأمّل في مسألة الكرنتينا في زمان محمد علي باشا وهذا الزمان فان كل الثغور الاوربية كانت تضرب الحجر الصحّي على كل قادم من المدن المصرية اعتقادًا ان الطاعون والهواء الاصفر من الامراض المتوطنة لمصر والمتولّدة فيها واما الآن فقد رفعوا الحجر عنها الاّ في زمان حدوث الوبا فيها وذلك دليلٌ كافٍ على ان اوربا قد اقلعت عن رأيها الاوّل وغيّرت حكمها المبني عليه . فان كان لسعادة الدكتور حسن باشا محمود يروم الرجوع الى رأيها الاوّل تخلّصًا من تبعة ما كان يطالب به وهو مدير لمصلحة الكرنتينات فليس من العدل ان يحيل مسئولية ذلك على مجلس الصحة ولاسيما حين كان سعادة الدكتور سالم باشا سالم مديرهُ مغلول اليدين لا سلطة له على تحريك ساكن ولا إسكان متحرّك . ولا يصحّ التعويل على تقرير الدكتورين شافعي بك وفراري من هذا القبيل لضعفهِ وظهور اغراض ذوي الاغراض فيهِ فنحن نسأل سعادة الدكتور حسن باشا محمود ننشهُ عن رأيهِ في هذا التقرير لو كان مديرًا لمجلس الصحة عرضًا عن كونهِ مديرًا لمصلحة الكرنتينات فهل كان يقدّر له هذه القيمة او ينزله في المنزلة التي نزّله فيها من والاعتبار

فان كان غرض حضرة الدكتورين اللذين قرّرا هذا التقرير والبواعث التي دعت الى تقريرهِ لم تتضح للقرّاء حقّ الوضوح فليسمعوا ما قالهُ الدكتور شومري وهو المندوب الفرنسوي في مجلس الكرنتينات . قال ان التقرير الرسمي الذي قرّرهُ الدكتور شافعي . الدكتور فراري انما عيّنا لهُ قصدًا لتأييد قول القائلين بان الهواء الاصفر تولّد في مصر نفسها سنة ١٨٨٣ . وقد أيّد الدكتور ماهي قول الدكتور شومري وزاد عليهِ ايضًا ان سعادة الدكتور حسن باشا محمود كان من جملة الذين وقفوا رأيهم على مرام الحكومة الانكليزية الذي اشتهرت رسميًّا وعلى دعاوي الدكتور هنتر الانكليزي

هذا ما قالهُ المحتفون في القصد من هذا التقرير والدواعي التي دعت اليهِ ولا غرو بعد هذا ان يعظم شأنهُ حتى يصير حتمًا بأن يقيّد في الكتاب الازرق للحكومة الانكليزية . فلننظر الآن في ما تضمنهُ من الدعاوي والادلّة ونعقّب عليهِ بما يقتضيهِ الشأن احتفاقًا للحق

قال الدكتوران شافعي وفراري في افتتاح تقريرهما المشار اليهِ انهما كانا عضوين في القومسيونين اللذين أرسلا الى دمياط في ٢٤ يونيو (حزيران) ١٨٨٣ نقول والصحيح انهما كانا عضوين في قومسيون الكرنتينات الذي وافى القومسيون الصحي الى دمياط ليتحقق طبيعة

المرض الذي كان فاشيًا فيها . وكانت النتيجة انها امضيا تقريرًا مآله ان ذلك المرض هو الهيضة الوبائية وانه ولو كانت احوال دمياط رديئة للصحة ومناسبة لحدوث الاوبئة فيها لكن الهيضة الوبائية قد دخلت اليها ولابدَّ من بلاد أخرى خارجة عن القطر المصري لان مصر ليست وطنًا لهذا الداء . ومن غريب ما يذكر ان الدكتور قراري قال بعد ذلك بمدة قصيرة بحضور الموسيو قصيري قبس فصل فرنسا بدمياط ان هذه الوافدة ليست هيضة وبائية حقيقية وانها ستنتهي في ثمانية ايام او تسعة . وقوله هذا دليل واضح على انه من الذي يلبسون لكل حالة لبوسها ويستسهلون تغيير الآراء واستبدال المشارب وهو كما لا يخفى ثاني الاثنين اللذين قرَّرا التقرير الذي نحن بصدده .

ثم افردا فصلاً في التقرير لوصف احوال مدينة دمياط من باب جغرافي طبي ضمَّناهُ غاية المبالغة لجعل تلك الاحوال غير ملائمة للصحة . وبذلك على ضعف قولهما ما يؤخذ من تقريري الدكتورين مافي وكوخ وهو ان احوال دمياط ليست احسن ولا اردأ من احوال غيرها من ثغور مصر ومدنها الداخلية . اما الدكتور مافي فرئيس اللجنة الطبية التي ارسلتها الحكومة الفرنسوية للبحث عن اصل الهيضة الوبائية في مصر واما الدكتور كوخ فرئيس اللجنة الطبية التي ارسلتها الحكومة الالمانية للبحث عن الهيضة الوبائية

وقالا ان اهالي دمياط تجار فلائل وزارعو ارزّ واكثرهم ملاحون وصيادو سمك وفيها الف سوري . نقول انهما لم يغفلا ذكر احد من سكان دمياط الاَّ الذين يلزم ذكرهم دون سواهم وهم الوقادون في السفن الذين يسكنون في دمياط ويوقدون في بورت سعيد فيوصلون احدى هاتين المدينتين بالاخرى ايصالاً تامًّا . والمحجر عليهم غير مستطاع لا بالكرنتينا ولا بغيرها لانهم يسيرون مع السفن الى الهند ويرجعون بالسفن القافلة الى بورت سعيد وينزلون منها في ترعة السويس قبل وصولها الى بورت سعيد فياتون دمياط دون ان يمرُّوا على الكرنتينا . وهذا ما يجعل الاتصال تامًّا بين دمياط وبين غيرها من الثغور التي ينشو فيها الوباء

وقالا انه يحيط بالمدينة مقابر كثيرة احاطة السوار بالمعصم ولا سيَّما من الشمال وفي جهة مهبّ الرياح الغالبة . نقول انه يوجد هناك مقبرتان وكلتاهما الى شرق المدينة مع ميل قليل الى الشمال والكبرى منهما فقط مستعملة وهي بعيدة عن المدينة

وقالا انه يحدث هناك كل سنة مولد يجتمع فيه نحو خمسة عشر الف نسمة واكثر وانه كان في تلك السنة (اي سنة الهيضة الوبائية) اكثر خلقًا من المعتاد . نقول ان المولد المذكور ابتدأ تلك السنة في ١٣ يونيو (حزيران) وانتهى في عشرين منه وكان عدد الناس فيه حينئذٍ اقلَّ

من المعتاد فقد قدّروا انهُ لم يزد عن ٢٠٠٠ او ٢٥٠٠ نسمة . ومع ذلك فقد تمّ بهِ الاتصال بين دمياط وبورت سعيد لانهم شاهدوا فيهِ عددًا من الموقادين

وقالا في الفصل الثاني في وصف حالة دمياط الصحية قبل ظهور الهيضة الوبائية فيها ان الزكام المعدي المعوي لم يذكر في قوائم الوفيات من جملة اسباب الموت الاّ في الاسبوع السابق ٢٢ يونيو (حزيران) لكن التيفوس البقري بقي في المدينة زمانًا طويلاً وامتدّ منها ومن رشيد الى سائر الاقطار المصرية

نقول ان الامراض المعدية المعوية تميت كل سنة عددًا من الاطفال فان كانت الوفيات التي اشارا اليها حدثت في غير البالغين فلا فائدة من ذكرها . وترك ذكر العمر هنا مقصود لاتمام التمويه على غير المتعلمين من القراء . واما التيفوس البقري فلم يزل في البلاد منذ سنة ١٨٦٤ تارةً يخفّ وطورًا يشتدّ وقد دخل الى الاقطار المصرية من ابواب شتى مثل الاسكندرية والاسماعيلية عدا رشيد ودمياط

وقالا في الفصل الثالث ان الهيضة الوبائية ظهرت بغتةً في دمياط في ١٩ يونيو وان اول من تحقق كونها كوليرا الدكتور فراري احدهما وذلك في ٢٢ يونيو . نقول والحق اولى ان يقال ان الذي تحقق ذلك هو الدكتور علي افندي جبريل طبيب مركز دمياط في ٢٢ يونيو وانهُ استدعى الدكتور فراري معهُ للمشاهدة فلم يعرف ماهيّة المرض بل صرّح في ٢٥ يونيو امام الموسيو قصيري ان المرض ليس هيضةً وبائيةً كما سبق عليهِ الكلام

وقالا انهُ لزم لمعرفة الزمان الذي فشا فيهِ الوباء ان يعرف اول من أُصيب بهِ . فاول من نُمِّي عن اصابتهِ بهِ رسميًّا رجلٌ سوريٌّ عمرهُ ثمانون سنة اصابهُ القيء والاسهال وعالجهُ الدكتور فراري في ٢٢ يونيو فمات في تلك الليلة وكان قوّاسًا في قنصلية فرنسا وفقيرًا جدًّا ساكنًا في بيت قذر رطب مع عائلة كبيرة . والشائع ان بنًا اسمهُ حسن نور الدين وعمرهُ ٤٥ سنة أُصيب اولاً وكان قد خرج من دمياط في ٢١ يونيو ومرض في ٢٢ وعاد في القطار اليها في ٢٣ ولم يصبهُ قيء ولا اسهال ولكن ما لبث المرض ان اشتدّ عليهِ وهو راجع في القطار حتى حملوهُ من بنهِ الى المحطة حيث مات تلك الليلة . وان الهيضة الوبائية فشت اولاً في سوق الربا وهو اكثر شوارع دمياط قذرًا وازدحامًا بالسكان ثم انتقل من هناك تدريجًا الى سائر جهات المدينة

نقول ومن الغرائب ان الدكتورين شافعي وفراري بقضيان شهرًا في دمياط للبحث عن اصل الوباء فيها ثم يأتيان بمثل هذه البضاعة حال كون الدكتورين ماهي وسمبسن[1] لم

(١) هو مدير الصحة في ايرلندة بالكلتا وقد اتى مصر على نفقتهِ للبحث عن اصل الوباء الاصفر فيها

يصرفا في دمياط الاَّ بضعة ايام وأتيا بفوائد لا تقدَّر . فالدكتور سمبين الانكليزي زار دمياط في شهر يناير (ك ٢) ١٨٨٤ ثم كتب تقريرًا استحقَّ ان يدرج في الكتاب الازرق للحكومة الانكليزية وقال فيهِ ان جماعةً من ثقات القوم الذين يركن الى كلامهم اخبروهُ ان الدكتورين شافعي وفراري اهملا امورًا كثيرة تتعلَّق برجل يسمَّى محمد خليفة وسيأتي الكلام عليهِ . والدكتور مافي قال ان شيخًا اخبرهُ ان اوَّل شخص اشتبه بموتهِ امرأة تسمَّى فاطمة وأيَّد الدكتور علي افندي جبريل ذلك الخبر . وكانت فاطمة هذه نازلةً ايام المولد في بيت الحاج محمد دبيع في حارة النطرة بجانب سوق الربا وكان في ذلك البيت امرأة يباعة اسمها عائشة اتت من بورت سعيد ومعها بضاعة هندية وكانت صديقة لفاطمة المذكورة . واتفق ان رجلاً يقال لهُ علي المركبي أولم وليمةً في بيتهِ بسوق الربا وكانت فاطمة تحسن الطبخ السوري فدعاها لتطبخ لهُ فذهبت في ١٩ يونيو (حزيران) فاصابها التيفوئيد والاسهال وماتت هناك في عشية ٢٠ الشهر وفي اثناء ذلك مرضت امرأة اسمها صبحا في بيت الحاج محمد دبيع وماتت في ٢١ الشهر . وبعد موت فاطمة بقليل ماتت جارية علي المركبي بالمواء الاصفر ثم ماتت بهِ امرأتهُ بعد ايام . واما عائشة فزارت بيت اخيها ثم عادت الى مسكنها فماتت ابنتهُ بالمواء الاصفر بعد زيارتها لهُ بيومين وفي ٢٤ الشهر ماتت امرأة محمد دبيع بالمواء الاصفر ثم أُصيبت عائشة بهِ بعد رجوعها الى بورت سعيد باربعة ايام

فإمَّا ان تكون فاطمة قد عَدَت عائشة او ان عائشة قد عدَتها فان فرضنا الاوَّل فلا بدَّ ان يكون اصل المواء الاصفر قد اتَّصل الى فاطمة اولاً من الوفَّادين الذين كان منهم كثيرون في المولد وهم يأتون من بمباي بالهند وطن المواء الاصفر وينزلون من السفن في ترعة السويس قبل وصولها الى بورت سعيد ويأتون الى دمياط رأسًا كما قدَّمنا فيجاورن الفندق الذي اليها فينشر المواء الاصفر فيها ولا تنعهُ تحفُّظات الكرنتينات

وقالا في كلامهما عن اصل المواء الاصفر في الفصل الخامس ولسنا نودُّ الوصول الى نتيجة قطعية عن اصل هذا المواء الاصفر أجاء دمياط من محلٍّ آخر خارج عنها ام تولَّد فيها نفسها واصلهُ منها لان ظهورهُ فيها كان فجائيًّا ولم يمكن معرفة اوَّل مَن أُصيب بهِ فيها فلم يشعر الاطباء الاَّ وقد صار الموتى بهِ كثيرًا كل يوم . نقول لقد اصابا فعدَّل عدد الوفيات بدمياط في اليوم من ٣ الى ٤ ولم يزد عددها عن الواحد في ٣١ يونيو ثم صار ١٤ في ٢٢ و ٤٢ في ٢٥ وهي زيادة ظاهرة حتى لم يخفَ امرها على الطبيب الوطني فحكم بوجود مرض قتَّال فيها

ثم قالا " على اننا لم نقف على دليل راهن لتوجيه رأي القائلين بدخول المرض الى دمياط من محلٍّ خارج عنها . نعم ان المؤتمر الصحي الدولي المنعقد في الاستانة يعوِّل على هذا الرأي

ولكننا نعتقد ان العلم يجد في هذا الوباء دلائل جديدة لاقرار هذه المسألة على اساس غير اساسها الاول . ومن يعلم انما كان المؤتمر الصحي الدولي مجرّدًا عن الغايات السياسية والتجارية وغيرها او كان المندوبون فيه يقررون شيئًا غير ما ترسم لهم يه دولهم . وهب انهم كانوا مطلقي الحرية يحكمون بما يرومون فلا يثبت ان الهواء الاصفراني دمياط من بلاد خارجة عنها ما لم يثبت أولاً انه دخلها في تلك السنة اناس ملطخون باقذار هذا المرض او امتعة تلوثت بجراثيمه في موطنه بالهند ثم نُقلت اليها هذا حال كون الهواء الاصفر لم يفشُ بالهند الاّ بشهر من الزمان قبلما فشا بدمياط . وزد عليه ان سعيد اللوزي وهو من اعيان دمياط افادنا انه لم يكن في المولد تاجر من تجار الهند ولا بائع لبضاعة هندية خلافًا لما قيل من انه كان في المولد تاجران هنديان قدما حديثًا من مدينة بمباي " . وقال الدكتور مامي في تقريره " وقد اخبرني اغلب اعيان المدينة انهم شاهدوا جماعة من تجار الهنود في المولد ومن دراويشهم يستعطون وان الدراويش ارادوا ان يبيتوا في الجوامع فاخرجوهم منها وانهم رأوا وقادمين آتين من بورت سعيد . فلما بلغهم ما قيل في تقرير الدكتورين شافعي وفراري اخذ العجب منهم كل مأخذ حتى ان شيخ التجار سعيد اللوزي انكر انه كلمها وكذّب ما نقلوهُ عن لسانه قائلاً انه رأى تاجرين من تجار الهنود بعينه . وقد وجد الدكتور مامي ايضًا ان تجار الهنود باعوا في المولد اصنافًا من بضاعتهم التي اتوا بها من الهند " فليقابل قول هذين الدكتورين بقول صاحبي التقرير

وقالا ولما كان الدكتور فلود المقيم في بورت سعيد قد قال ان محمد خليفة الوقاد هو الذي حمل العدوى الى دمياط استحضرنا محمدًا المذكور واستفهمنا منهُ بالتدقيق عن حقيقة امره فعلمنا انه كان منذ شهرين وقادًا في سفينة لا يعرف اسمها فسافرت به الى بمباي حيث اقامت ثلثة اسابيع ثم رجعت مشحونة ارزًا وقطنًا وهي في حالة صحية جيدة حتى وصلت الى بورت سعيد بعد ٢١ يومًا ولم يكن فيها غير الملاحين . فلما وصلت الى بورت سعيد تركها وذهب الى بيته حيث اقام اربعة ايام ثم تخاصم مع ضابط من خيالة الحكومة فألقي في السجن حيث بقي ثلاثة ايام ثم نقلته الحكومة الى دمياط في قارب فسار في الجيرة ٣٠ ساعة ووصل الى دمياط صباح الاحد في ٢٤ يونيو سنة ١٨٨٣ وهناك كان يتردد على قهوة لسليم السندوبي حيث سكر فسجن بضع ساعات وبقي في دمياط الى بداءة جولاي (تموز) بصحة جيدة . وفي عشية ذلك اليوم اصيب بالقيء والاسهال ثم توفي في اليوم التالي بلا علاج

وقال الدكتور سمسن واخبرني محافظ بورت سعيد ان عندهُ بيّنات ثابتة على ان محمد خليفة اتى دمياط حال نزوله من السفينة وان محافظ بورت سعيد لم يعجبهُ الاّ بعد ذهابه من

دمياط الى بورت سعيد . وانه اتى دمياط اولاً في ١٩ او ٢٠ يونيو ليرى والديه المقيمين هناك فوجد انهما سافرا الى بورت سعيد في ذلك اليوم فذهب الى قهوة سليم السندوبي وهي قهوة يتردد الملاّحون اليها . وقد اخبرنا مدير دمياط ان محمدًا هذا تشاجر مع رجال في قهوة السندوبي بعلّة انه ذو رائحة خبيثة فقُبض عليه وأُودع السجن حتى رجع والداهُ من بورت سعيد حيث سجن ايضاً لسوء تصرفه فيها . وبعد ذهابه من القهوة ببضعة ايام مات صاحبها واجيرهُ بالهواء الاصفر في ٢٨ يونيو وكانا يسكنان في الشارع الذي فشت فيه الهيضة الوبائية اولاً بعيدًا عن القهوة

قالا وقد تبيّن من الحقائق التي اوردناها انهُ يستحيل علينا ان نوافق على قول الذين يقولون ان الهواء الاصفر دخل دمياط من بلاد خارجة عنها . ولكن ترى هل يمكن ان يكون هذا المرض قد تولد بدمياط من نفسهِ . نقول ان مشاهير العلماء وفي مقدمتهم تندل وهكسلي الانكليزيان يذهبون الى ان التولد الذاتي غير معروف . هذا وبعد ان سردنا تلك عشرة قضية لتوجيه هذا الرأي الثاني وقد دفعناها بالادلّة الراهنة واوضحنا اغلاطها الكثيرة ولكن اهملنا ذكرها اجابة لطلب حضرة منشئ المنتطف بسبب ضيق المقام قالا

فهل يثبت من هذه الحقائق قطعيًا ان هذا المرض تولد ونشأ في دمياط كما يتولد وينشأ على عدوة الكلج بالهند فجوابنا على ذلك ان ما عددنا غير كافٍ لبت الحكم في هذه المسألة وانّما اوردنا ما اوردنا على سبيل ملاحظات يستعين بها العلماء في المستقبل على بت الحكم فيها . ويسوءنا ان نكون قد كشفنا في تقريرنا امورًا كنّا نودُّ ان تطوي عليها كتمًا ولكن مراعاة جانب الحق وخدمة صالح الوطن أولى وابقى . هذا وانّا نختم تقريرنا مخاطبين المئي بان مصرًا تصلح نظامها الصحي الذي هو اساس الكلّ وان ذلك يكون في زمان غير بعيد وكل آت قريب اه . نقول هيهات ان يشفي هذا الختام غليلاً او يرفع عن عاتق مصلحة الكرنتينا مسؤولية دخول الهواء الاصفر الى البلاد ليلقيها على عاتق المجلس الصحي . والغريب ان حضرة صاحبي التقرير يصفان هنا عن البعوضة فيسوءهما كشف ما كشفنا ولكن لا يسوءهما تحريف ما حرّفا . هذا وانّا نحن ايضًا كنّا نودُّ السكوت عن امور اضطرّتنا تقريرها الى كشفها فقد قالا في الفصل السادس من تقريرهما ما نصُّهُ . ذكرنا في الفصل السابق ان كل الاحتياطات المتخذة للاشاة الوباء في مركزه ذهبت سدًى على اننا نعترف جهرًا دون ان نقصد ان نتملّق احدًا ان ذلك لم يكن لقصور في الاوامر التي كانت تصدر يوميًا من النظارة والصحة ولا لقصور أولي الامور والاجراء بدمياط عن اجابة مطالب الاطباء" فكيف ينطبق هذا القول على ما تمنّياهُ في ختام تقريرهما من ان

الحكومة تصلح نظامها الصحي عن قريب . ومما هو جدير بالاعتبار ان اوّل اصلاح تمّ في النظام الصحي عزل اعضاء المجلس الصحي الذين كانوا حينئذٍ وتعيين سعادة الدكتور حسن باشا محمود مديرًا له والدكتور شافعي بك عضوًا فيه

فهذا ما اقتضاهُ المقام ابديناهُ راجين المعذرة عن اطالة الكلام وما كنّا لنقضي عليهِ الوقت الثمين وتجشم لاجلهِ مشقة البحث والتنقيب لولا رغبتنا في جلاء الحقائق للذين يرومون الوقوف عليها . واملنا ان نكون قد ابنّا لقرّاء المقتطف الكرام ان الاساس الذي بنى عليهِ سعادة الدكتور حسن باشا محمود ما نحن بصددهِ منقوض فانّي عليهِ منقوض بالطبع ونحن لا نزال نعيد ما قلناهُ واعدنا مرارًا كثيرة وهو ان الميضة الوبائية الحقيقية لا تولد في مصر ولا تستوطنها فاذا فشت فيها فاذلك الاّ لانها تكون قد تطرّقت اليها من محلٍّ آخر . وهذا رأينا ونحن مستعدون للدفاع عنهُ ومناظرة من يخالفنا فيهِ والسلام ختام

مصر كرانت بك
دكتور في الطب والعلوم

مذهب داروين عند الاقدمين

حضرة منشئ المقتطف الفاضل

لم يكن مذهب داروين وغيرهِ من المحدثين في تسلسل الحيوان والنبات عن بعضهما مستجدًّا فقد جاء مثل ذلك في كلام الاقدمين من هنود وعرب وغيرهم واعتدّ العلماء الحديث كل ذلك خرافات واراجيف فقد ذهب الفلاسفة القدماء الى تولد الانواع من بعضها بل الى ان النبات متولد عن المعدن والحيوان عن النبات ودلّم جرًّا . قال ابن خلدون في مقدمتهِ "ان عالم التكوين ابتدأ من المعدن ثم النبات ثم الحيوان على هيئةٍ بديعة من التدريج فآخر افق المعدن متصل باول افق النبات وآخر افق النبات متصل باول افق الحيوان . وان معنى الاتصال في هذه المكونات ان آخر افق منها مستعد بالاستعداد القريب لان يصير اول افق الذي بعدهُ . قال واتسع عالم الحيوان وتعددت انواعهُ وانتهى في تدريج التكوين الى الانسان صاحب الفكر والروية"

وقد ذهب العرب وغيرهم الى حصول التوالد بين انواع الحيوان المختلفة فقالوا كما ان البغل يتولد بين الحمار والفرس فقد يتولد السبع بين الذئب والضبع والعسبار ما بين الضبع والذئب وقيل العسبار بين الكلب والضبع والاسود بين الضبع والكلب والورشان بين الفاختة والحمام

والنمر بين الكلب والذئب الى غير ذلك

وقالوا بتولد الخنثى بين الانس والجنّ والغلوق بين الآدمي والسعلاة والعلبان بين الآدمي والملاك فقالوا ان جرهًا كان من نتاج بين الملكة والانس . وجاء في سفر التكوين ان بني الله لما رأوا بنات الناس حسنات اتخذوا منهنّ زوجات فولدنَ الجبابرة . وزعموا ان بلقيس ملكة سبا كانت من مثل ذلك النجل والترتيب

وزعموا ان السناس ما بين الشق والانسان وان خلقًا من وراء السد تركّب من الناس والسناس وان الشق ويأجوج ومأجوج هم نتاج ما بين النبات وبعض الحيوان . وان ذا القرنين كانت امه قبرى وابوهُ عبرى وان عبرى كان من الملكة وقبرى من الآدميين وزعموا ان الجنيات يعشقنَ رجال الانس ورجال الجن يعشقون نساء بني آدم

هذي امورٌ قد اتت في قولهم فزماتهم عن مثلها مسئولُ

وعلى ذلك فالمعلم داروين وحزبه الأمجد وآثار درست وقائلو نسخة قصص عبرت والعالم يسير بقدرة مبدعهِ تارة ينظر الى تلك الاقوال كخرائف راهنة واخرى كاراجيف وتخريف ولهُ وحدهُ سبحانهُ علم الحق وما كانوا عليهِ يختلفون . على ان ذلك كلهُ لا يضر بالدين وما هم عليهِ الانبياء والمرسلون

ما كان قبلاً كائنٌ حالاً وما يأتي لهُ في الماضياتِ مثلُ

مصر امين شميل

ايضاح وختام

وما كلُّ ظنٍ ظنهُ المرء كائنٌ يقومُ عليهِ للحقيقةِ برهانُ

اسأل سيدي اسعد افندي الحداد الطبيب قبل "ختم المناظرة" ان يقف عنيهةً فان لي معهُ ذوقًا من القول اعرضهُ عليهِ ليعين محل 'المزاح' منهُ وبين وجه 'الهزل' فيهِ

فها اتيتُ الآن لأعود الى الموضوع وقد أوصدت من وراء البحث فيهِ الابواب تفاديًا من الوقوع في تحصيل الحاصل وايضاح الجلي وانا اتيتهُ سائلاً ان يحضر ذاكرتهُ ويضع ما كتبناهُ (هو وانا) موضع المقابلة والبحث فيعلم ان اخذ الموضوع ملابسةً وايهامًا حتى يكاد يخيّل الى غير المتثبت انهُ اوتي نصرًا صريحًا لا يغني عن قضاء حق الحقيقة شيئًا

موضوعنا ايها السادة الفضلاء ليس ما تنصرعنهُ المدارك البشرية ولا هو بحثٌ نظري لنوسع فيهِ او نتوغل في مناحيهِ وانما هو امرٌ جلي لا يحتمل تأويلاً ولا توجيهًا — قال صاحبي في رسالتهِ

الاولى والثانية قولاً يستخرج منه ان بيضات البلهارسيا لم تكن اكتشفت في الدورة العامة . ثم كتبت غير معارض ولا مناقد ما يفهم منه ان جريسنجر استجلى هاتيه البيضات في القلب من نيف وثلاثين سنة فلم يدفع حضرته ما قلتُ بدليل بل قال ان ذلك ربما كان "على طريق امتصاصها مع المواد العفنة" فسألته ان يبين لي كيف يحصل هذا الامتصاص لارغبةً في التوسع في البحث بل ليقيم على ما يقول حجةً او دليلاً فغادر ما سألتُ في زوايا الاهمال وضرب صفحًا عن موضوعنا وما كتبناهُ (هو وانا) في افتتاح سطورنا "بيضات البلهارسيا في الدورة العامة" وما اقول هذا تعلةً ولا استيضاحًا ولا استنافًا للبحث فاني علمت بعد ان نهد لنا فيه مجالٌ غير حرج انهُ لا يرى "اصلح لهذه المناقشة الآ اخناها"

اسكندر

الاسكندرية وزق الله

حل المسألة القضائية المدرجة في الجزء الثاني

لحضرة الشيخ يوسف افندي يعقوب حبيش

اطلعت على المسألة القضائية لحضرة محمد افندي توفيق المدرجة في الجزء الثاني من السنة العاشرة لجريدتكم الغراء وعليها اجيب

ان من اخص واجبات المحامي ان يفرغ ما في وسعهِ للمحاماة عمَّن يتندبهُ للمحاماة عنهُ مهما كانت التهمة الموجهة عليهِ . فاذا كان متيقنًا ان المتهم بريء فعليهِ ان يستخدم كل الوسائط اللازمة لتبرئتهِ . واذا تبين لهُ بنوع اكيد من شواهد الدعوى او من اقرار المتهم لهُ سرًّا انهُ مذنب فعليهِ ايضًا ان يسعى على المحاماة عنهُ وتخفيف جزائهِ ما امكن بدون ان يضرَّ بغيرهِ ولا سيَّما اذا علم ان القتل لم يكن عمدًا وان المتهم ليس من الاشياء المعتادين على ارتكاب الجرائم الذين لا امل باصلاحهم . واما اذا أتهم زيد وعمرو بقتل انسان كما جاء في المسألة وطلب زيد من احد المحامين ان يدافع عنهُ ثم اسرَّ اليهِ انهُ هو القاتل فعلى المحامي ذمةً وشرفًا ان يتخلَّى عن المحاماة بابداء اعذار لائقة بزيد ولا تجعل تأثيرًا في اذهان القضاة لكي لا يكون سببًا للحكم ظلمًا على بريء ولا يبح بالسر الذي اؤتمن عليهِ

واذا عينت المحكمة محاميًا ليدافع عن زيد وعلم المحامي ان زيدًا مجرم فعليهِ ان يدافع عنهُ بنوع انهُ لا يزيد في المدافعة عما تقتضيهِ ذمتهُ ولا يلقي الجريمة على عاتق عمرو بل يبقي لهُ سبيلاً ليبرئ نفسهُ . وعلى كل حال لا يجوز للمحامي ان يبح بالسر الذي أودعهُ مهما كانت نتيجة المحاكمة ولا ان يتسبب في ضرر من اخبارهِ للمحاماة عنهُ ولا في الحكم ظلمًا على بريء

ردٌ على الوجه الايجابي للمسألة القضائيّة الاولى . وحلٌ للمسألة الثانية

لجناب نعوم افندي شقير

حضرة منشئ المنتطف الفاضلين

اني أثني على حضرة عزتلو جبرائيل بك كحيل والمحامي محمد افندي توفيق لما اتحفانا به من الفوائد القضائية في حكمهما بجواز المحاماة عن جانٍ تحقق المحامي جنايته وحكم لنفسه باستحقاقه للعقوبة كما هو مضمون المسألة القضائية الاولى المدرجة في الجزء الاول من المنتطف . ولكنهُ تبيّن لي لدى الامعان في جوابيهما انهما لا يخلوان من النظر في اماكن شتّى اقتصر على ايراد بعضها لضيق المقام

فان كحيل بك قد بنى جوابهُ بجواز المحاماة عن الجاني والاجتهاد في تبرئته من جنايته على على حكمين احدهما "ان للانسان الحق في الدفاع عن نفسه بنفسه او بغيره" والآخر ان "المحامي حرٌ في تصرفاته مختارٌ في اجراءاته حافظ لحقوق حريته واختياره" فنقول "عن المحاماة عندما يتبين جناية موكله لا ريب يكون على غير صفة توافق الحرية الحقيقية" فانا اوافق جنابه على امورٍ كثيرة في هذين الحكمين ولكن أرى فيهما نقضاً بيّناً لما بناهُ عليهما ولما قالهُ جناب المحامي محمد افندي توفيق في جوابه كما ينضح في ما يلي

فبرهان حضرة البك على احترام حق الدفاع ووجوب رعايته برهان قاطع ساطع وهو "محاكمة ابينا آدم وامنا حواء عليهما السلام على اكلهما من الشجرة المنهيّ عنها اذ مع كون القاضي فيها لا يغرب عن علمهِ مثقال ذرّةٍ في الارض ولا في السماء وجه اليهما الاسئلة وسمع منهما الاجوبة" الخ فحق دفاع الانسان عن نفسه بنفسه او بغيره مسلم غير منازع فيه والمنازع فيه دفاع الانسان عن نفسه ابراءً من جناية قد ارتكبها فذلك مذموم غير مباح كما تدلنا عليه محاكمة ابوينا الاولين . فان تنصّل كلٌ منهما من الذنب مع علمهِ بذنبه مذموم بشواهد كثيرة في الكتب المنزلة التي عدّنا منها محاكمتهما . وهناك نصوص صريحة على انهُ لا يجوز للجاني الاجتهاد في تبرئة نفسه من جنايته بل الواجب عليه الاقرار بها ولو آل الامر الى عقوبته . فاذا اتخذنا محاكمة ابوينا الاولين حجّة على احترام حق الدفاع وجب ان نتخذها حجة على وجوب الاقرار بالجناية وعدم اجتهاد مرتكبها للتبرّؤ منها . وعليه نقول ان دفاع الانسان عن نفسه لا تجوّزهُ الذمّة والضمير الّا اذا كان بطريق الحق والعدل . ومحاماة الجاني عن نفسه واجتهادهُ في التبرؤ من جنايته منافٍ للحق والعدل . فدفاع الجاني عن نفسه لتبرئة نفسه من الجناية التي ارتكبها لا تجوّزهُ الذمة والضمير . وما لا تجوزهُ الذمة والضمير غير جائزٍ مطلقاً فدفاع الجاني عن نفسه لتبرئة نفسه من جنايته

لا يجوز له ذمةً . وبديهي انه اذا كان لا يجوز للانسان الدفاع عن نفسه بنفسه ليتبرأ من ذنب جناهُ فلا يجوز للمحامي الدفاع عنهُ والاجتهاد في تبرئتهِ من جنايتهِ مع تحققهِ انهُ جانٍ

وحكم حضرة البك بان المحامي حرٌّ في تصرُّفاتهِ مختارٌ في اجراءاتهِ حكم صحيح يجب ان ينطبق عليهِ ما كان صحيحًا ايضًا. ونحن لا نتازعهُ فيهِ وانما نتازعهُ في صحة ما بناهُ عليهِ وهو ان "تنحي المحامي عن المحاماة عندما يتبيَّن جناية موكلهِ لا ريب يكون على غير صفة توافق الحرّية الحقيقية" لان الحرّية الحقيقية لا تتنافى اذا راعى الانسان ذمتهُ واحترم العدالة والحق اذ تمام الحرّية الحقيقية انما يكون متى عمل الانسان اعمالهُ كلها متمتعًا منها بما يروم من الغبطة والسعادة. وذلك لا يكون الاَّ اذا راعى الانسان العدل والحق في اقوالهِ وافكارهِ واعمالهِ. فالمحامي لا تتقيَّد حرّيتهُ الحقيقية اذا راعى ذمتهُ وتمنَّع عن الدفاع عن الجاني عالمًا ان الدفاع عنهُ يكون خذلانًا للحق ونصرًا للباطل. ولكنهُ يفقد حريتهُ اذا صحَّ ما قالهُ حضرة المحامي محمد افندي توفيق وهو ان "واجبات صناعة المحاماة تقتضي ان يؤوّل المحامي القانون والاعمال القضائية لصالح المتهم" لاننا اذا حملنا هذا الكلام على اطلاقهِ دون تقييد كما هو ظاهر المراد من ايرادهِ حكمنا ان صناعة المحاماة توجب على المحامي ان يؤوّل كل عبارة يمكنهُ تأويلها في القانون لموافقة صالح المتهم ولو كان المحامي يعلم انهُ بذلك يميت الحقّ ويحيي الباطل وينقض العدل ويؤيد الظلم. وهي عودية ليس فوقها عبودية. فرأينا لا ينافي حرّية المحامي بل الرأي الآخر هو الذي ينافيها

هذا وعلى رأينا تُحلُّ المسألة القضائية الدائبة حلاًّ سهلاً وهو انهُ يجب على المحامي الامتناع عن تبرئة الجاني ولو اضرَّ امتناعهُ بصالح نفسهِ واثَّر في نفوس القضاة واظهر انهُ علم جناية موكلهِ فاباحها. لان العمل بالواجب ومراعاة جانب الحق أولى. واما على رأي حضرة كميل بك ومحمد افندي توفيق فلا يمكن حل هذه المسألة لا سلبًا ولا ايجابًا لانهما ان حكما سلبًا اعني ان المحامي لا تجوز لهُ المحاماة رجعا الى رأينا ولزمهما التسليم بهِ وان حكما ايجابًا اعني ان المحامي تجوز لهُ المحاماة الزم من حكمهما تبرئة المذنب وتذنيب البريء وذلك باطل ولا مناص لهما من احد هذين الوجهين. ويظهر لي ان هذه المسألة دليل قاطع على بطلان حكمهما. والله اعلم

حضرة منشئ المقتطف الفاضلين

عزمتُ في الجزء الثاني من المقتطف الاغرّ على جواب المسألة القضائية لافاضل ارجو من حكم من حضراتهم بجواز تعاطاء المحامي عن جان يحقق جنايتهُ ان يتكرم بالافادة عن هذه المسألة وهي: اذا فرض ان المحامي برّأ الجاني من جنايتهِ المقرَّرة بادلة دفاعهِ وبذلك أحقّ الضرر ادبيًا كان او ماديًا بالمدعي فهل تكون تبرئة الجاني والحاقهُ الضرر بالمدعي من باب الفعل واستقامة الذمة وله على ذلك الفضل والمنة

حل اللغز المدرج في الجزء الثاني

لقد الغزت يا ذا الفضل في اسمٍ لهُ في البيت نفعٌ ليسَ يجهل
اذا حققتَ في معناهُ يومًا تراهُ عند تصحيفٍ يحيل
وانْ امعنتَ فيهِ دقيقَ فكرٍ فذاكَ لدارةِ العلياء "مخل"

مصر عباس حلمي
ناظر قلم ادارة الاوقاف

وقد ورد حله ايضاً من سعادتلو ادريس بك راغب من القاهرة وعبدالله افندي فريج من طنطا وابراهيم افندي شدودي من طنطا وشكري افندي بنوت من الاسكندرية وفريد افندي نصرالله فرالي من مصر وجرجس افندي حنا من الباجور وابراهيم بك مصور وابراهيم افندي عاصم ونقولا افندي يوسف من مصر وميخائيل افندي رستم من زحلة بلبنان وامين افندي نصر من القدس الشريف وثيودوري افندي فيتالي من اللاذقية

لغز

ماذا تقول سادتي الاعيان . واهل الفضل والعرفان . في اسم رباعي الحروف . وبسطه بسط الكوف . يظهر في الليل والنهار . وله ذيل جرار . نصفه فعل مطل . وباقيه والد بطل . طرفاه فعل الناجر . وعكسهما صوت زاجر . ان قطعت ذيله وصحفت ثانيه . فانعم بمن يعانيه . وان حذفت ثالثه على الغالب . فهو فعل جاذب . ومن الغريب انه ابكم اللسان . ولم ينطق بالبيان . فان زدناه خمسين . صار من افصح الناطقين . فهل من فتى اديب . او فاضل اريب . يكشف لنا عن هذا المعمى الحجاب . ويبسط لنا عن وجهه ذلك النقاب . ومن اراد منظومة الرقيق . فها هو بعهدة الدقيق

الا يا سادتي يا آل مجدٍ ومن في الفضل قد خاضوا العبابا
ترى ما اسم رباعيٍّ اذا ما حذفنا ثالثًا للفعل آبا
يطير مع الطيور بلا جناح ويعلو في تساميه قبابا
ويمشي سائرًا من غير رجل ولكن حاز في سبق قصابا

ومن عجب بلا عين ويبكي بدمع يشبه الغيث انصبابا
فهاكم سادتي لغزي لديكم كبدر انما لاقى حجابا
فهل من فاضل نرجوهُ يبدي لنا من وجهه ذاك النقابا
ومن عبد له اذكى ثناء وحمد مثل عرف المسك طابا
طعنا الحساب عبد الله فريج

مسالة فقهية

ولي خالة وانا خالها ولي عمة وانا عمها
فانّا التي انا عمّ لها فانّ ابي امهُ امها
ابوها اخي واخوها ابي ولي خالة هكذا حكمها
فابن الفقيه الذي عندهُ فنون الدراية او علمها
يبين لنا نسبًا خالصًا ويكشف للنفس ما همها
فلسنا مجوسًا ولا مشركين شريعة احمد نأتمها

بيروت احد مشتركي المقتطف

تذكرة

نرجو احد علماء العربية ان يمحضنا حل المسائل الصرفيّة المدرجة في الجزء السابع من مقتطف السنة التاسعة (صفحة ٤٣٩) وله الفضل

بيروت احد طلبة العلم

علاقة الشعر باعضاء التناسل

وردت الينا رسالة مسهبة من جناب الدكتور شهيد افندي نجت حكيم اسبتالية مديرية البحيرة يقول فيها انهُ عالج رجلاً تعلمت خصيتاهُ عرضًا فشفي ولكن تساقط شعر عانتهِ بعد ان صار دقيقًا ناعمًا واشتدّ شعر لحيتهِ وشاربيهِ بعد ان كان اسود فاحمًا وصار يتساقط من نفسهِ حتى لم يبق منهُ الاّ شعيرات قليلة متفرقة . ولدى فحصهِ منبت الشعر بالمكرسكوب وجد ضمورًا في بصيلاتهِ ولاحظ ان الرجل سمن جسمهُ واخذت اطرافهُ في الاستدارة وكثر نومهُ وتغير كلامهُ . وقال في

آخر هذه الرسالة ارجو من اهل العلم ان يفيدونا عن سبب ذلك وعن الارتباط بين اعضاء التناسل والشعر فلو قيل ان ظهوره في بعض الاناث هو رجوع الى الاصل لقيل لنا لم يسقط عند فقد الخصيتين وكيف تطبق هذه الحادثة على رأي العلّامة دارون

الدكتور كربنتر الانكليزي

يعلم قرّاء المقتطف اسم هذا الطبيب الشهير ومقامهُ بين رجال العلم من كثرة ما ورد اسمهُ في المقتطف مقرونًا باسمى المباحث العلمية . وقد نعت الينا الجرائد الانكليزية خبر وفاتهِ في العاشر من الشهر الماضي فلخصنا ترجمة عن جرنال الطب البريطاني

ولد في برستل من بلاد الانكليز سنة ١٨١٢ وقرأ مبادئ العلوم على ابيهِ الدكتور لنت كربنتر ودخل مدرسة لندن الطبية ولهُ من العمر عشرون سنة وأجاز فحص مدرسة الجراحين الملكية ثم مضى الى ابدنبرج ونال شهادتها الطبية ولقب دكتور في الطب وذلك سنة ١٨٣٩ والّف وهو هناك رسائل في افعال الاحياء السليقية والارادية وفي وحدة الجبار في الكائنات الحية وفي اختلاف النواميس المتسلطة على الحوادث الحيوية والطبيعية وفي النتائج الفسيولوجية التي تُستنتج من تركيب المجموع العصبي في الحيوانات غير الفقرية . وسنة ١٨٣٩ طبع كتابًا في مبادىء الفسيولوجيا . ثم عاد الى برستل وعُيّن مدرّسًا للطب الشرعي في مدرستها الطبية وانتقل منها الى لندن سنة ١٨٤٣ وشرع في تأليف سكلوبيذيا طبية وانشأ كتابهُ المطول في الفسيولوجيا وكتابًا آخر مختصرًا فاحتفل بهما العلماء واختاروهما للتدريس في مدارس الطب . ولهُ ايضًا كتاب مشهور في الفسيولوجيا العقلية ورسائل كثيرة في الجرائد العلمية وكان محررًا للجريدة الطبية الجراحية . وسنة ١٨٤٤ انتخب عضوًا في الجمعية الملكية وأجازتهُ تلك الجمعية بالنيشان الذهبي سنة ١٨٦١ جزاء لهُ على كتاباتهِ الفسيولوجية . ولما انتقل الى لندن انتخب استاذًا للطب الشرعي في المدرسة الجامعة ومدرّسًا للتشريح والفسيولوجيا في مدرسة الطب المستشفوية وفاحصًا للفسيولوجيا وتشريح المقابلة في مدرسة لندن الجامعة ثم عُيّن مجلدًا لهذه المدرسة فاستعفى من كل الوظائف المتقدم ذكرها

هذا ونحن مديونون لهذا العالم المحقق بكثير مما كتبناهُ في حرية الارداة وسائر المباحث الفلسفية وفساد السبرتزم والامراض الخيرية ونحو ذلك من المباحث التي كنا نعتمد فيها على آرائهِ وتحقيقاتهِ برّد الله ثراهُ وسكب عليهِ غيث الرحمة والرضوان